لن يتمدد هذا العالم فوق سرير

هذا العالم اكل طويلا لحم فلسطين

بالشوكة والسكين

القرادة تعلو على الاصالة

في الابيات السابقة نجد معين بسيسو يدعو الفلسطينيين الى معاملة العالم بالفظاظة التي عاملهم بها . فيما يتعلق بالشاعر نفسه فقد طبق هذا المبدأ منذ ان قال الكلمة الاولى في شعره . فهذه الخشونة والفظاظة التي تميز الشكل الشعري عنده ليست سوى انعكاسات لما راه من فظاظة العالم . وهذا الشكل المنفلت من كل القيود تعبير عن حيوية داخلية مذهلة ، عن حرية مطلقة يمنحها الشاعر لنفسه دون انتظار موافقة من اية مؤسسة في الفن او الايديولوجيا . فأنت لا تستطيع ان تجد معين بسيسو في كتاب احمر او بيان فني كان قد شرح لغيره . كيف ينبغي على الشعر ان يكون وهو يخاطب لينين باللهجة التي يخاطب بها عبد الناصر باللهجة التي يخاطب بها القراء والشعراء . يحدث الجميع عن الحاضر ويقدم لهم الحقيقة دون شروح ولا تنظيرات . وهو حين يعرج في لفتات قليلة ، الى التراث العربي ينتقي منه شعر الاعراب السذج ، كما في تضمينه لجملة « كما ترى » في قصيدة « رسالة في زجاجة الى جمال عبد الناصر » — فهذه الجملة مقترضة من أحد الاعراب وتروى عادة للتندر ، لكن معين بسيسو وضع فيها الواقع العربي كله :

نحن كما ترى

والبحر هائج كما ترى

وخلفنا الطاردون مثلما ترى

مما يدل انه شاعر زنجي عن وعي بعد ان تزنج بالغريزة ، ومن علائم الاتساق بين رؤيته ومذهبه في القول الشعري ان تحديقه الطويل في الواقع العربي لا ينعكس في شعره بقول الحقيقة فقط ، وبتغليب صيغة الحاضر على ما عداه من الازمنة ، وانما تراه ايضا في انعدام اية بلاغة متأنقة . فمعظم تعابيره كلامية مأخوذة من الكلام الذي يدور بين الناس ، والشعر لم ينبثق من وسط هذا الكلام بالذات مثلما ينبثق من تكوين المواقف . وهذا كله يمنح بناء القصيدة فسحة واسعة تستوعب فيها كل ما يخطر للشاعر من رؤى ومضامين . بل انك ترى هلهلة النسج واضحة في الابيات وضوح واقعية المفردات المستخدمة لرسم الصور ، ثم يأتي تراكب الجمل وتقطعها ليضيف الى الاستطرادات صعوبة المتابعة ، بحيث لا يستسيغ القصيدة الا احد شخصين : مستمع في احتفال جماهيري يستجيب للاداء السريع للصور والافكار المباشرة ، ثم لا يحفل بعد ذلك بتفاوت الايقاعات وتراكب الجمل ، او ناقد يقرأ القصيدة مرات ثم يضعها في السياق الفني للديوان باكمله . وهنا تكمن صعوبة كل شعر يخرج عن الحد الاوسط المتعارف عليه في عالم الادب المتداول . وهذا لا يعني ان في وسع ناقد ان يرد هذا الشعر بوصفه شعرا هاربا من الناحية الفنية — ولكن صعوبة تقبله وتبريرها بمقاييس الادب الشائع يصرفان الاهتمام عن هذا النوع من الشعر بعد اذاعته على الناس . من هذا انحصر تأثير الشاعر في